إضاءة

نقض التعريفات الصهيونية والغربية للقضية الفلسطينية

نهلة عبدو النكبة إبادة مستمرّة

ترفض أستاذة علم الاجتماع الفلسطينية تعريف الشعب الفلسطيني بالمجموعة الأثنية؛ فهُم أصحاب الأرض، بينما المستوطنون الإسرائيليون هُم من ينطبق عليهم هذا التعريف

علي عاشور

ما فتئت الناشطة الفلسطينية وأستاذة علم الاجتماع في «جامعة كارلتون» في أوتاوا، نهلة عبدو، تُعرّف النكبة الفلسطينية في كتاباتها ومحاضراتها بالإبادة، مُشدّدةً على أهمّية السياق التاريخي وإدراك التجربة التي خاضها الشعب الفلسطيني منذ الاستعمار البريطاني حتى الاستعمار الاستيطاني الصهيوني.

في كلمة ألقتها مؤخّراً على هامش معرض «إسكات صوت المؤسّسة التعليمية» Silenced by Scholasticide، المُقام حالياً في «جامعة كارلتون» في العاصمة الكندية، ويتواصل حتى الثلاثين من تشرين الأوّل/أكتوبر الجاري بتنظيم من مجموعة طلّابية، أكّدت عبدو أنّ حرب الإبادة على غزّة امتدادٌ للنكبة التي لم تتوقّف منذ عام 1948، وأنّ التعامل مع النكبة الفلسطينية على أنها حدثٌ من الماضي ليس خطأً في قراءة وفهم التاريخ فحسب، بل هو نتاج منظومة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني وتكريس سردية الإمبريالية الغربية التي تسعى إلى محو الذاكرة والهوية الفلسطينية.

أوضحت عبدو أنّ قراءة وتحليل أحداث النكبة على أنّها «صراع بين شعبين» هو تماهٍ مع السردية الصهيونية القائلة بأنّ الشعب العربي الفلسطيني خسر معركة خاضها بمساندة عدّة جيوش عربية، وانتهى مسارُها بخروج أكثر من 750 ألف فلسطيني من حدود فلسطين التاريخية (مع التحفّظ الكامل على حدود سايكس بيكو). هذه القراءة القائمة على منظور أوروبي صهيوني تُلغي أحقيّة الإنسان الفلسطيني العربي في سرد تاريخه الممتدّ والمترابط بالمكان، وتعريف هويته وثقافته التي تشهد لها الأراضي المحتلّة وآثارها وتاريخها المدوّن والحكي.

كانت نهلة عبدو، قد حلّلت، في دراسة لها بعنوان «استثناء فلسطين ما بين العنصرية والإخفاء: من فلسطين المحتلّة إلى جزيرة السلحفاة»، تقاطعات الاستعمار الاستيطاني بين تجربتَي السكّان الأصليّين في شمال أميركا (جزيرة السلحفاة) والشعب الفلسطيني الذي يستمرّ في المقاومة على عدّة مستويات: الاحتلال، والهوية، والتهجير.

وعلى الرغم من تشابه آليات إقصاء وإبادة الشعوب الأصلية في فلسطين وجزيرة السلحفاة، ونضال الشعوب الذي يتجدّد ويُتوارث من جيل إلى جيل، فإنّ من الأهمّية بمكان، حسب عبدو، فهم حالة الشعب الفلسطيني الذي يعيش الإبادة مقسّماً بين فلسطينيّي «الداخل» وفلسطينيّي القدس والضفّة والقطاع، ناهيك عن الشتات الفلسطيني في كلّ أنحاء العالم، معتبرةً أنّ إلغاء الوجود الفلسطيني يأخذ أشكالاً عدّة، تتراوح من القتل والتعذيب والتهجير إلى القمع والإسكات ومحاربة لقمة العيش؛ فكلّ ما هو فلسطيني محارَب ضمن أطر المنظومة الغربية.

تتصدّى عبدو للتعريف السائد للنكبة في كثير من وسائل الإعلام والدراسات الأكاديمية، بوصفها «الكارثة». ومع تصاعُد عمليات الجيش الإسرائيلي في حرب الإبادة على غزّة، والتهجير القسري لسكّان شمال القطاع، ازداد استخدام مصطلح جريمة التطهير العرقي، والإشارة إلى كتاب المؤرّخ الفلسطينيّين بالمجموعة الإثنية - العرقية، إذ ترى أنّ الإثنية تعريف لمجموعة مهاجرة أو أقلّية شكّلت مجتمعها أو استوطنت خارج موطنها الأم. فلا يمكن لمجموعة أن تكون إثنية في موطنها. والفلسطينيون هُم شعب أرض فلسطين ولبنة طينتها وجوهر هويتها وذاكرتها، بينما المستوطنون الذي نزحوا إلى فلسطين من مختلف الجماعات الإثنية هُم من ينطبق عليهم هذا التعريف. من هنا تُصرّ نهلة عبدو على تعريف النكبة بالإبادة، مؤكّدة ضرورة مواجهة السرديات والآراء التي تُخفّف أو تُقلّل من حجم النكبة وعذابات الفلسطينيّين المتواصلة، رافضةً أيّ تعاطف يفرض رؤيته الاستعلائية على الشعب الفلسطيني.

وتستطرد عبدو، في دراستها، بالإشارة إلى إيلان بابيه «التطهير العرقي في فلسطين». ففي هذا الكتاب، يعرّف بابيه النكبة بالتطهير العرقي، مُستنداً إلى دراسة دريزن بيتروفيتش عن التطهير العرقي، وتعريف «موسوعة هاتشينسون» للمصطلح. ولأنّ التطهير العرقي عملية ممنهجة تهدف إلى طرد مجموعة من الناس من أرض ما بالقوّة لخلق حيّز جغرافي متناسق عرقياً مع سياسات المجموعة الأقوى (الطاردة)، يصف بابيه أحداث النكبة والخطّة الإسرائيلية «دالت» بالتطهير العرقي لفلسطين.

تنتقد عبدو تعريف بابيه بما يحتويه من إشكالية لقراءة الهوية الفلسطينية من جانب، ولتماهيه مع المنظور الأوروبي المركزي والصهيوني في تعريف الشعوب من جانب آخر. كما ترفض تعريف

> رفض أيّ تعاطف يفرض رؤيته الاستعلائية على الشعب الفلسطيني
>
> ترى أنّ الإثنية تعريف لمجموعة مهاجرة أو استوطنت خارج موطنها

من معرض «إسكات صوت المؤسّسة التعليمية» المُقام حالياً في «جامعة كارلتون» بأوتاوا

أصواتٌ حرّة

ما يحدث اليوم من محاولة لإخفاء أحداث النكبة وتهميش الأصوات الفلسطينية في وسائل الإعلام الغربية، وإعادة إنتاج سردية تتوافق مع السردية الصهيونية، ليس أمرا اعتباطيا، بل هو عملية متجذّرة في المنظومة الغربية التي تعمل على ترسيخ منظورها العنصري وطمس الأصوات الحرّة. نهلة عبدو (الصورة) من بين تلك الأصوات التي لا تزال ثابتة في مواجهة المضايقات والتهديدات المتواصلة، لتُلهم بذلك الكثيرين من الطلّاب المؤمنين بعدالة القضية الفلسطينية.

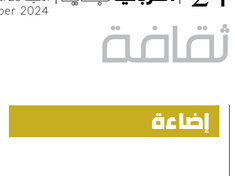

صوت جديد

من جيل يحاول الإفلات من السطحية

يوسف حسين

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح وانشغالات الجيل الجديد من الكتّاب

حلوان (مصر) ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظلّ ما يجري من عدوان إبادةٍ على غزّة؟

أن تُنسى القضية الأساسية تحت مظلّة خلافات واهية بين الدم العربي. كلٌ منّا يُسدّد رأيه ووجهة نظره في التحليل والتفنيد وتوجيه الاتهامات إلى بعضنا البعض، من دون الانتباه إلى أنّ هناك الآفاً من النفوس تُباد كلّ لحظة، ومن ثمّ تختلف المفاهيم ويضيع مغزى القضية؛ وهو الدفاع عنها بكلّ ما يملك الإنسان وما يستطيع، فلا مجال للخلافات الآن. ماذا سنقول للأجيال القادمة لو ظللنا متخاذلين على الدوام؟ كيف نوعيهم بمعنى القضية وما تهدف إليه، ونحن أصلاً بحاجة إلى توعية.

■ كيف تفهم الكتابة الجديدة؟

قد يبدو الأمر غير مفهوم بالنسبة إلى «الكتابة الجديدة»، خصوصاً أننا نشهد الكثير من الكتابات التي اتّخذت منحنىً متدنّياً، لا ابتكار فيه ولا تجديد: أفكار مستهلكة ومتناقلة بين هذا وذاك. الكاتب الحقّ يترك لنفسه المساحة الكافية للإبداع حتى يخرج بعمل يُجترم، وبهذا يكون قد أنتج كتابةً جيّدة، لكن ما تزال هناك كتابات لم ترَ النور بعد، رغم أنها الأحقّ بالظهور والتقدير.

■ هل تشعر بأنك جزء من جيل أدبي له ملامحه؟ وما هي هذه الملامح؟

حين تقابلني أقلامٌ شابّة وتبهرني كتاباتهم وطموحاتهم الأدبية، أشعر بأنّني بين جيلي الذي لم تؤثّر فيه الترندات الواهية ولا السطحية التافهة، فكلّما صادفتُ وجود مَن لديه مبادئ وأسس يسعى إليها بصدق ومن دون مواربة، أطمئنّ أنّ الوعي ما زال حيّاً.

■ كيف هي علاقتك مع الأجيال السابقة؟

علاقتي بهم متمثّلة في قراءة إبداعاتهم، تركوا آثارهم الطيّبة في كلّ كاتب، مثل نجيب محفوظ ومصطفى محمود وخالد توفيق. كلٌ منهم له بريقٌ خاصّ لم يفُت أيّ جيل بعدهم. فإلى الآن ما زال محفوظ إيقونة كبيرة لا تُمحى من الذاكرة، وما زالت مؤلّفاته تُنشر عاماً بعد عام في دور نشر مختلفة، والإقبال عليها كما هو، فلن تجد جيلاً شغوفاً بالقراءة لم تقع مؤلّفاته أو بعضها بين يديه.

■ كيف تصف علاقتك مع البيئة الثقافية في بلدك؟

علاقتي بها متمثّلة في الكتابة، فاهتمامي الأكبر مُنصبّ عليها، إلى جانب إدارة دار النشر الخاصّة بي، والتي أحاول أن أطوّرها وأُنمّي أدواتها لتلبّي متطلّبات القرّاء الواعين.

■ كيف صدر كتابك الأول؟ وكم كان عمرك؟

صدر كتابي الأوّل عام 2018. جاء أمر نشره مصادفةً، كخطوة جريئة لخوض مجال النشر والتأليف، ومن ثمّ تلته إصداراتٌ أخرى.

■ أين تنشر؟

في داري الخاصّة؛ «اسكرايب للنشر والتوزيع»، والتي كان سبب نشأتها هو كوني كاتباً لاقى صعوبات كثيرة في عملية النشر، فمن هنا أنشأتها وحاولت أن أكون داعماً للكتّاب أمثالي أوّلاً وقبل أيّ شيءٍ آخر.

■ كيف تقرأ وكيف تصف علاقتك مع القراءة: منهجية، مخططة، عفوية، عشوائية؟

قراءتي عفوية. أقرأ كلّ ما يقع تحت يديّ ويشدّ انتباهي.

■ هل تقرأ بلغة أُخرى إلى جانب العربية؟

لا.. أقرأ بالعربية فقط.

■ كيف تنظر إلى الترجمة وهل لديك رغبة في أن تُتَرجم أعمالُك؟

أراها سبيلاً جيّداً لتأخذ مؤلّفاتي نطاقاً أوسع في الانتشار، فلا تقتصر على العالم العربي. أنا متحمّس لمعرفة وجهات نظر الغرب ورؤاهم في كتاباتنا كعرب.

■ ماذا تكتب الآن وما هو إصدارك القادم؟

إلى الآن لم أكتب شيئاً جديداً. كما هو حال أيّ كاتب، أتمنّى أن تكون لديّ فكرة جيّدة لإصدار جديد.

بطاقة

كاتب مصري من مواليد مدينة الجيزة، حاصل على البكالوريوس في التجارة، ويعمل في مجال الطباعة والنشر وتسويق الكتب. حازت روايته «بيادق ونيشان» جائزة كتارا عن فئة الروايات العربية المنشورة في دورة 2024. صدرت له سبع روايات: «كيد الرجال» (2018)، و«أبيراء» (2019)، و«لعبة الموت» (2019)، و«إرم العهد الحديث» (2019)، و«الأربعون الثانية» (2020)، و«الورقة الخضراء» (2022)، و«بيادق ونيشان» (2023).

يوسف حسين

إطلالة

في الكتابة لا يوجد شيء لا يعني شيئاً

خالد النجار

أن تكتب، هو أن تبدأ، ولْيكن البدء كما يقول هنري ميلر من أيّ مكان، والتوقّف أيضاً في أيّ مكان، لأنّ الكتابة تحرّرت من الأشكال المُسبقة، تحرّرت من القواعد. صار النصُّ يُبدع قواعده.

أن تكتب هو أن تستمرّ، ولتستمرّ لا بُدّ من إقصاء الخوف، ولا بدّ من التحرّر من القلق، والتحرّر أيضاً وبالدرجة الأُولى من تحكّم الرقيب. الرقيب الذي هو ظلّك، أناك الأخرى، الأنا المستبدّة التي شكّلتها التربية الأولى، والتي تقضي حياتنا في محاربتها والتحرّر من براثنها اللامرئية.

لذلك تتطلّب الكتابةُ الشجاعةَ لمواجهة تلك الأنا المستبدّة، التي في محاربتها والتحرّر منها تكون قد ظفرت بأناك الحقيقية؛ بصوت الطفل المقموع الثاوي في أعماقك، صوتك الخاص الذي ظللت تتجنّب الإصداع به، والذي كتمته أشكال التربية التي دُجّن الإنسان. التدجين الذي يجري بوسائل عديدة من إيحاء وتكرار؛ بخاصّة من خلال أشكال العقاب النفسي والجسدي، بهدف وضع الإنسان في القالب المجتمعي. إنّه القتل المعنوي المبكّر لأناك المبدعة، بهذا المعنى، الكتابة طاقة، ونشدان لواعٍ للتحرّر من هذا القالب.

لتستمرّ لابدّ أيضاً من إقصاء العقل، وترك المجال للحُلم وللحدس وللإبحار، وللعب. وكما يقول الرسّام الأميركي جاكسون بولوك: «الرسم حياته الخاصّة؛ اتركها تنبجس». وهذا يصحّ على النصوص أيضاً. اترُك النصّ ينبجس.

في هذا السياق نفسه، يقول الفيلسوف الفرنسي آلان (1868 - 1951)، «فنّ الكتابة يسبق الفكر». الكتابة هي أن تترك السيلان الكتابي يمضي بك حيث يريد هو، وليس حسب ما خطّطت له، لأنّ في الإبداع قد تنتهي إلى مكان لم تفكّر فيه ولم تُخطّط له. كان بيكاسو يبدأ بفكرة ثمّ، كما يقول، تصير شيئاً آخر... بعد سنوات يُكرّر الفيلسوف الإيطالي جورجيو أغامبين هذه المقولة، ولكن في ميدان الكتابة: «ستكون الكتابة شديدة الكآبة إذا لم تُحِد أبداً عن خطتك». لتستمرّ في الكتابة اترُك مجالاً للخطأ، لأنّ ما يبدو خطأً ربما هو الأكثر تعبيراً عن حقيقتنا الداخلية العميقة، لأنّه لا يوجد شيء لا يعني شيئاً. لا توجد كلمة ليس لها مبرّرها في الداخل؛ وهذا ما جعل السرياليّين يخطّون الكلمات التي تترى لهم ومن دون رقيب، أو ما يسمّونه الكتابة الآلية. وقد اختزل مايلز دافيس، الفنّان الأميركي الملقّب بـ«بيكاسو الموسيقى» الأمر بقوله: «لا تخَف من الأخطاء، فالأخطاء غير موجودة». أن تكتب هو أن تمضي ثم تمضي ثم تمضي؛ لا تتوقّف لأنّ في الكتابة شيئاً من السفر حيث الهدف لا يكمن في الوصول، وإنّما يتمثّل الهدف في السفر نفسه. وفي الكتابة كما في السفر أنت تواجه المجهول وغير المتوقّع.

أيضاً: ثمّة علاقة جدلية مع الكتابة. أنت تصيغ النص وما تكتبه يعيد صياغتك أنت. والكتابة إبداع مزدوج. لأنّه، وأثناء ممارسة الكتابة وعبرها، تعيد صياغة أنفسنا. والكتابة احتراق، وأن تُبعث من رمادك بعد ذلك حسب سندرار، والكتابة هي أن تدخل إلى الغرفة المحرّمة في قصور ألف ليلة وليلة السحرية ولا تخرج. هي تماس مع اللاوعي، تماس مع عالم الدياجير الذي - ويا للمفارقة - يزيدك ضوءاً. إنّها الإصغاء للصوت الإلهي في أعماقنا.

(شاعر ومترجم تونسي مقيم في أمستردام)

معرض

المنفى الإسباني في المغرب العربي تحوّلات التاريخ ومفارقاته

حكايات من زمن الهجرة إلى جنوب المتوسّط

يستعيد المعرض، المُقام حالياً في مدريد، قصّة الآلاف من المواطنين الإسبان الذين تركوا بلادهم بحثاً عن ملجأ آمن في المغرب والجزائر وتونس

مدريد ـ **العربي الجديد**

يعود الوجود الإسباني في شمال أفريقيا إلى حرب تطوان (1859 - 1860)؛ حيث استقرّ العديد من الحرفيّين الإسبان في سبتة. وفي أواخر القرن التاسع عشر، تدفّق المهاجرون الإسبان إلى المغرب بشكل ملحوظ، ووصل عدد الوافدين إلى حوالي ستّة آلاف شخص بين عامَي 1891 و1892، وقد توزّعوا في مدن مغربية مختلفة، مثل الدار البيضاء والعرائش وطنجة والرباط. مع إعلان «الحماية» الإسبانية على المغرب عام 1912، اعتُبرت الهجرة إلى المغرب «موضة» في إسبانيا، ووصل عدد الإسبان هناك إلى أكثر من 16 ألفاً سنة 1923. وتشير الدراسات إلى أنّ معظم الإسبان الذين اختاروا الاستقرار في المغرب عاشوا حياة بسيطة، وانشأوا أعمالهم الخاصّة، ووُصفوا بأنّهم أشخاص بسطاء يفضّلون الشوارع الضيّقة في المدن القديمة، على عكس الفرنسيّين الذين عاشوا في الأحياء الحديثة بالرباط والدار البيضاء. لكنّ ما كان «موضة» لدى الإسبان في عشرينيات القرن الماضي سرعان ما تحوّل بعد عقد من الزمن إلى منفى ومكان للجوء والانتظار.

هذا ما يضيئه معرض «عن الخروج والريح: المنفى الإسباني في المغرب العربي (1939 - 1962)»، الذي افتُتح الأربعاء الماضي في «البيت العربي» بمدريد ويتواصل حتى الخامس والعشرين من آذار/ مارس المقبل، في استعادة للحياة التي عاشها آلاف الأشخاص الذين اضطرّوا لمغادرة إسبانيا، ووجدوا في الجانب الآخر من البحر الأبيض المتوسّط (المغرب بدرجة أولى ثمّ الجزائر وتونس) ملجأ لهم، ابتداءً من عام 1939؛ حيث تشير التقديرات إلى أنّ حوالي 13 ألف مواطن إسباني اضطرّوا إلى الهروب من إسبانيا إلى شمال أفريقيا في آذار/ مارس من ذلك العام، مع نهاية الحرب الأهلية الإسبانية، حين تمكّنت قوات فرانثيسكو فرانكو من بسط سيطرتها على البلاد، لتبدأ فترة دكتاتورية حكمت البلاد بقبضة الاستبداد الديني والعسكري.

عبر صور فوتوغرافية، وشهادات، ونصوص، ومتعلّقات شخصية، ينقسم المعرض إلى أربعة أجزاء تشير إلى حالات ذهنية مرّ بها أولئك المهاجرون؛ هي: الخوف، والسخط، والأمل، والاستسلام. لا يمكن فصل أجزاء المعرض أو الحالات الذهنية عن بعضها بعضاً، فمَن هاجر بسبب الخوف من الدكتاتور فرانكو سنراه ينتظر مُترقّباً الموت كي يعود إلى بيته؛ ومَن اضطرّ للاستسلام والهروب، سنراه ساخطاً على الطرف الآخر من ضفّة المتوسّط. الخيط الرفيع الذي يصل بين تلك الحالات الذهنية، وبين الأشخاص، هي القصّة نفسها، التي تروي الهروب والمنفى وعبور البحر والذهاب إلى بلد آخر لبدء حياةٍ جديدة.

هذه هي تبدّلات التاريخ ومفارقاته. فالبلد الذي يرفع اليوم أسواره وحدوده أمام المهاجرين القادمين إليه من شمال أفريقيا، عابرين المتوسّط، هو نفسه الذي كان مواطنوه يهاجرون بحثاً عن الأمان. لكن، يبدو أنّ السياسيّين قليلاً ما يستفيدون من دروس التاريخ.

> أربعة أقسام تُمثّل حالات ذهنية: الخوف والسخط والأمل والاستسلام

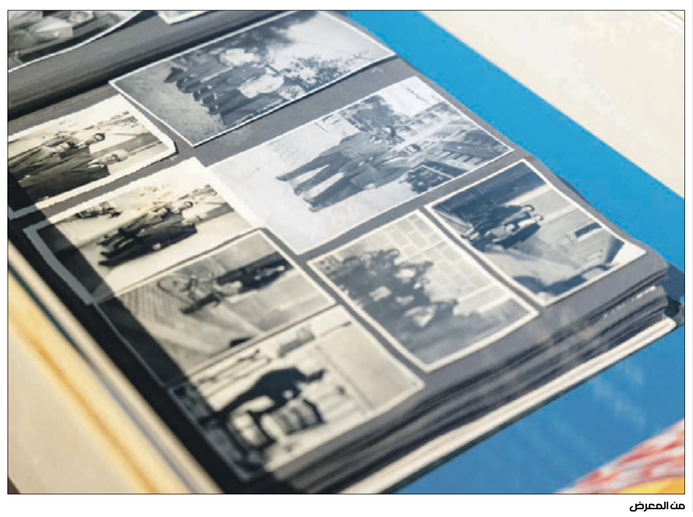
من المعرض

فعاليات

كتابات الرحّالة الغربيّين عن قطر: منظور تاريخي، عنوان ندوة تُنظّمها «مكتبة قطر الوطنية» في الدوحة عند السادسة والنصف من مساء الاثنين المُقبل. يتحدّث في الندوة الأكاديميّون: **مهدي جرّاد** و**يوسف العبدالله** و**شيرين المنشاوي**؛ حيث يُضيئون على بعض مذكّرات السفر وكُتب الرحلات ضمن المجموعة التراثية في المكتبة.

تحت شعار **الفيلم في صميم الثورة**، تتواصل حتى السبت المقبل، في مدينة تيزي وزّو الجزائرية، فعاليات الدورة الـ 18 من «المهرجان الوطني للفيلم الأمازيغي». يشارك في التظاهرة، التي انطلقت أوّل أمس، 18 فيلماً تتنافس على جائزة **الزيتونة الذهبية**، ضمن فئات الفيلم الطويل، والقصير، والوثائقي، وأفلام التحريك.

عند الثامنة من مساء الخميس المُقبل، يُقام في «ساحة روابط للفنون» بالقاهرة عرضان سمعيان بصريان: الأوّل بعنوان **حُلم مشترك**، وهو فيديو مستلهم من الأحلام، ويبحث في رحلة الإنسان عن ذاته ومشاركته هذه الرحلة مع الآخرين، والثاني بعنوان **تعليب إسمنتي**، ويتناول أفكاراً معمارية في ضواحي روما لم تتحوّل إلى واقع ملموس.

ابتداءً من اليوم، وحتى الثالث من الشهر المُقبل، يحتضن «المركز الثقافي الدولي» بمدينة الحمّامات التونسية، عروض الدورة الثانية من تظاهرة **وتريات دار سيبستيان**. تتضمّن الدورة عروضاً لعدد من عازفي الكمنجة، إضافةً إلى لقاءين حول **تقنيات التعلّم الإبداعي** و**التطبيقات المُعاصرة في العزف على آلة الكمنجة**.